اهدأ

الإسلام وعالم الديجتال

الدكتور
محمد حبش

الإسلام وعالم الديجتال

محاضرة ألقاها الدكتور محمد حبش

في معرض الإبداع والتكنولوجيا في مدينة المعارض بدمشق
2009 /7/1

الإسلام وعالم الديجتال

الحمد لله، الحمد لله ثم الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه نسترشده ونؤمن به ونتوكل عليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهد الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له علّم بالقلم ،علّم الإنسان ما لم يعلم، وأشهد أنه ربنا الأكرم وأشهد أن سيدنا ونبينا وحبيبنا محمد عبده ورسوله وأشهد أنه صفيه ونبيه وحبيبه ووليه وخليله، إمام الأنبياء وهادي الأمة وتاج الأصفياء وناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراط مستقيم، أدى الرسالة وبلّغ الأمانة ونصح الأمة ولحق بالرفيق الأعلى مبرورا مشكورا، اللهم احشرنا معه يوم القيامة واسقنا من كفه شربة هنيئة لا نظمأ بعدها أبدا إنك لا تخلف الميعاد.

أما بعد فيا عباد الله إني أوصيكم ونفسي بتقوى الله عز وجل وأحثكم وإياي على طاعة الله وأستفتح بالذي هو خير، اللهم افتح لنا أبواب فضلك وانشر علينا خزائن علمك برحمتك يا أرحم الراحمين.

وبعد أيها الإخوة والأحبة فأحب بين الحين والآخر أن نتوقف عند بعض مظاهر الهداية في القرآن الكريم، عند بعض النصوص التي تزيدنا إيماناً بالله عز وجل في عصرٍ يتعرض فيه الإيمان لغدرٍ كثير ونفاقٍ كثير وتشويه كثير ولكن المؤمن لابد أن يجتمع على الله عز وجل حين يقرأ من كلامه المنير وبيانه الواضح.

نعم أنزل الله القرآن الكريم على قلب سيدنا محمد وهو كتاب الله المبين وحبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا تفنى غرائبه ولا يمل منه القراء ولا يشبع منه العلماء، من جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله وراءه قاده إلى النار، وهو الفصل الذي ليس بالهزل، وهو الحق الذي ما لم تنتهِ الجن إذ سمعته أن قالوا { **إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآناً عَجَباً # يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً** } [الجن: 1-2] اللهم انفعنا بالقرآن العظيم....

والآيات التي أحب أن أتوقف عندها اليوم تتصل بعجائب هذا الكون مما خلق الله سبحانه وتعالى، وسنقترب من هدى هذه الآيات الكريمة لنشعر أن القرآن الكريم إذ حث على العلم والمعرفة كان يضع مسيرنا مباشرة في درب العلم حتى نشارك في صناعة الحضارة ونشارك في إنجاز الإنسان، بكل أمانة أيها الإخوة حين أقرأ هذه النصوص المعجزة في القرآن الكريم فأنا لا أتحمس للحديث عن فصول الإعجاز في اللفظ أو في الدلالة ولكنني أقرأ منها إلهاماً لهذه الأمة تبحث في العلم والعمل والمعرفة وقد وجدت نفسي مدفوعاً هذا الأسبوع للحديث عن الإسلام وعالم الديجيتال وأنا أقصد بذلك العالم الرقمي الذي ينتقل اليوم عبر شاشات الحواسيب، عبر اللاسلكي، عبر عالم الديجيتال الرقمي الأثيري، تنتقل المعلومة من خبر ونصٍ وصورةٍ وفيلمٍ يتحرك بين القارات فكيف أمكن للإنسان أن يصل إلى هذا العالم إن العالم الرقمي اليوم غير كل معارفنا عن هذا الوجود، ولكن هل كان للمسلمين إسهام في هذا اللون من المعرفة، وهل يمكن أن نقول إننا شركاء في صناعة الحواسيب والانترنت.... وغير ذلك من عجائب الاتصال الرقمي، قد يكون من المبالغة أن نتصور أننا ساهمنا في صناعة هذه الحضارة لقد طوي مجدنا منذ زمن بعيد، ونحن محض متفرجون مفول به منصوب وقع عليه فعل الفاعل، فتأملاً تاريخياً في سياق تاريخ المعرفة لابد أن يحمل لنا بعض الحقائق التي تصلنا بروح القرآن الكريم، حين كان ينزل قول الله عز وجل: { **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** } [الإسراء: 36] { **وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ** } [السجدة: 9] كانت هذه الآيات تنزل في أمة كأمتنا يقرأها مصلون كما أنتم مصلون ويرتلها صائمون ما أنتم تصومون، كان

أصحاب رسول الله يقرؤون كلام الله وأمام هذه الآية كنت ترى ثلاث اتجاهات فالواعظ مهتم أن يقول لك إن السمع والبصر والفؤاد .... فاحفظ سمعك أن تسمع ما حرّم الله، واحفظ بصرك أن ينظر إلى غير ما أحل الله واحفظ قلبك أن يحبّ في غير شرع الله، هذه هي مهمة الواعظ، أما قراءة الطبيب فكان الطبيب المسلم إذا قرأ قول الله: { **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** } كان يفهم واجبه في طب العيون والسمع والبصر والقلب بمثابة أمر إلهي لدراسة الأوعية الدموية وتجلطات القلب والثطرة وتوسيع الشرايين وصملاخ الأذن وغير ذلك من علومٍ تتصل بالسمع والبصر والفؤاد، قراءة الواعظ أن يأخذ منها واجبك في حفظ السمع والبصر، قراءة الطبيب يأخذ منها واجه في تطوير علم الطب في السمع والبصر والفؤاد أما العالم المسلم الفيزيائي فكان إذا قرأ هذه الآية يشعر بأن مسؤوليته أن يكتشف قانون السمع وقانون البصر وقانون الفؤاد، وهذه المعارف الفيزيائية التي كانت تعد منطلقاً لكل العلوم الحديثة، واحد من علماء الإسلام الذين ظهروا في مطلع القرن الخامس الهجري ولد في العراق ببغداد وانتقل من العراق إلى سوريا إلى مصر وهناك في مصر كتب كتابه الشهير (علم المناظير) وأراد بمسؤوليته إذ يقرأ كلام الله { **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** } أن يكتشف قانون السمع والإبصار والفؤاد، وحين ازداد تأمله وتجاربه، تمكن هذا العالم المسلم أن يُصلح علم الإبصار وأن يكتشف أن هذه الموجودات جميعاً لها أطياف تتحرك صوب الإنسان فهذه السارية ترسل طيفها إلى عينيك، والشمس ترسل طيفها إلى عينيك، والقمر يرسل طيفه إلى عينيك، وبدراسة متأنية أدرك أن الله خلق في الأشياء عالمين اثنين، عالم مادي جامد تراه عينك، وعالماً طيفياً أثيرياً يتحرك من الأشياء في كل اتجاه وتراه العين وتحلل شبكة العين ما ترى، كان الكسب الذي حققه ابن الهيثم وأن الكائنات ترسل بأطيافها إلى العين بسرعة الضوء فيتم تحليلها بالعين، كان هذا متناقضاً مع الثقافة اليونانية السائدة كانت تفترض أن العين هي التي تذهب لرؤية الأشياء وأن الأشياء جامدة وأن العين تذهب إليها وهناك تتم عملية الإبصار كما تصنع حراشف الحشرات التي تستشعر عن بُعد، إنني أعلم إن طرح مثل هذه المسائل لم يلقَ ترحيباً في بعض الأحيان ولكنني أريد أن أقول إن المسؤولية التي أدركها عالم الفيزياء المسلم في اكتشاف قانون السمع والإبصار هي التي وضعت قدم العالم المتحضر في الطريق الصحيح

لاكتشاف ما يجري في هذه الطبيعة من عجائب خلقها الله سبحانه وتعالى، نعم { **وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ** } [النمل: 88] عندما أنجز هذا العالم المسلم بحثه العلمي وأكمله بعده عالم مسلمٌ آخر هو أبو الحسن الفارسي كان هذا اللون من المعرفة هو الذي مهّد الإرهاص الأول لاكتشاف عالم الأثير الذي ينتقل به اليوم موجات الراديو وموجات التلفزيون وموجات اللاسلكي وموجات الانترنت..... التي تملأ العالم كله، كان أول من أشار إلى هذه الحقيقة التي يرتكز عليها اليوم علم الحاسوب وعلم الانترنت وعلم اللاسلكي وعلم الراديو وعلم التلفزيون هو العالم المسلم (ابن الهيثم) لماذا نصر على بيان هذا المعنى، قد أردت هنا أن يدرك الإنسان أنه بهدى القرآن الكريم حين يأمرنا أن نتحرك في الأرض { **قُلْ سِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الآخِرَةَ** } [العنكبوت: 20].

بدأ الإنسان بالتعرف على نقل الأصوات عبر الأسلاك، وكان يمد السلك بين المدينة والمدينة حتى يتم الاتصال الهاتفي ولكن بقراءة متأنية لما كتبه العالم المسلم ابن الهيثم أدرك العالم أنه ليس السلك وحده هو من ينقل الأصوات بل إن كل ما في الفضاء من حوله، هذا العالم الأثيري هو أسلاك قادرة على نقل الأصوات أيضاً وللحظة ظن الإنسان نفسه أنه يُجن ولكنه أدرك بعد قليل أن كل ما حولك من الطيف قادر على نقل الصوت ونقل الصورة ونقل الفيلم ونقل الداتا كل ذلك تم عندما درس الإنسان قانون السمع، فأخبرك الله أنك مسئول عنه بنص القرآن الكريم.
إن القرآن الكريم أشار إلى هذه الحقيقة بإشارة ذات مغزى عندما قال الله عز وجل: { **فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ # وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** } [الواقعة: 76] ولو تعلمون جملة معترضة ولو حرف امتناعٍ لامتناع لا تعلمون عظمة هذا القسم وتعالوا الآن نفهم عظمة هذا القسم، لماذا أقسم بمواقع النجوم ولم يقسم بالنجوم، إن الحقيقة التي احتاج الإنسان لإدراكها أكثر من ألف عام هي أننا في الواقع لا نرى النجوم وإنما نرى مواقعها التي كانت فيها، ذلك أن كل نجمٍ يتحرك من حولنا يُرسل طيفه إلينا، ونحن لا نراه إلا عندما يصل إلينا وربما كان النجم تغير من

مكانه وتبدل، في معلوماتٍ في غاية الدقة يبعد عنا القمر مسافة ثانية وثلث بسرعة الطيف ويبعد عنا بالواقع 390 ألف كيلو متر هذه المسافة بين الأرض والقمر يحتاج الضوء ليصل إليها ثانية وثلث، إن الضوء يلف الكرة الأرضية ثماني مرات في الثانية الواحدة، وهكذا يحتاج ثانية وثلث ليصل من القمر إلى الأرض.

الشمس التي نراها تغرب أمام أعيننا تبعد عنا 156 مليون كيلو متر وهذا يعني أنها تحتاج إلى ثمانية دقائق ليصل طيفها إلينا، عندما ترى الشمس تغرب في البحر فأنت في الواقع تراها كما غربت قبل ثمانية دقائق، هذا الذي تراه هو الطيف الذي أرسلته قبل ثمانية دقائق، أما الشمس الآن فهي غاربة، عندما تراها في الشروق فأنت تراها بعد أن تطلع بثمانية دقائق لأنها أرسلت الطيف منذ ثمانية دقائق والآن وصل إلى عينيك وتمكنت أن تراه.

كوكب عطارد يحتاج طيفه إلى ثلاث دقائق وعشرين ثانية، وكوكب زحل تراه من قبل ساعة ونصف، يبعد عنا ساعة ونصف بسرعة الضوء، ربما تراه في هذا المكان وهو في ذاك لأنه قد تحول خلال ساعة ونصف من مكانه لنمضي أكثر في عجائب ما خلق الله في هذا العالم، أقرب الكواكب إلينا في المجرة كوكب القنطوري يبعد عنا 4 سنوات وثلاثة أشهر بسرعة الضوء، عندما ترى هذا الكوكب في السماء فأنت في الواقع ترى موقعه الذي كان فيه قبل أربع سنوات وثلاثة أشهر أما هو الآن فقد وصل على مكانٍ آخر وهو يرسل ضوءه باستمرار ولكنك لم تره الآن قبل أربع سنواتٍ وثلاثة أشهر إني أرجو أن أكون مبيناً في توضيح هذه الحقائق.

في مجرتنا مجرة درب التبانة فإن نجم منكب الجوزاء يبعد عنا ألف وستمائة سنة ضوئية، هذا النجم نجم الجوزاء الذي تعرفه البصارات والعرافات في السماء، هذا النجم تراه بعينك المجردة، ولكن يجب أن تعرف أنك ترى موقعه الذي كان فيه قبل ألف وستمائة سنة يعني قبل أن يُولد سيدنا محمد، أما موقع نجم منكب الجوزاء الحالي فهو بالتأكيد في مكان آخر ولن تراه قبل ألف وستمائة سنة قادمة أخرى، إنه كوكب في مجرتنا، يبعد عنا ملايين ملايين ملايين ملايين..... الأميال ولن تستطيع أن ترى طيفه إلا بعد ألف وستمائة سنة، نحن الآن نرى طيفه قبل أن يُولد سيدنا محمد ρ.

النجم القطبي الذي نراه ونستدل به على جهة الشمال، النجم القطبي كل واحدٍ منا يعرفه في صفحة السماء تراه مضيئاً شديد اللمعان في جهة الشمال تماماً ولكن يجب أن تعرف أنك ترى مكانه الذي كان عليه قبل أربعمائة سنة يعني قبل الاستعمار الفرنسي وفي بداية دخول العثمانيين أرسل إلينا هذا الطيف حتى وصل إلينا، ربما كان هذا الكوكب الآن قد تحرك إلى مكانٍ آخر ربما يكون قد انفجر وتبدد وانتهى ولكننا لا نزال نرى مواقع النجوم { **فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ # وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** } [الواقعة: 76] إن شمسنا تبعد عن مركز المجرة ثلاثين ألف عام بسرعة الضوء وإن أبعد نجوم مجرتنا عنا يبعد ثمانين ألف عام بسرعة الضوء، وإن قطر المجرة يبلغ مائة ألف عام بسرعة الضوء، وإن أقرب نجمٍ إلينا من خارج مجرتنا هو نجم سحب ماجلان يبعد عنا 150 ألف سنة بسرعة الضوء، عندما تشاهد الآن نجم سحب ماجلان وهي تسير في السماء على هيئة سحب بعيدة هذا النجم أرسل ضوءه إلينا قبل 150 ألف سنة يعني قبل إبراهيم وقبل نوح وربما آدم وقبل كل الخلق الآن وصل إلينا بعد 150 ألف سنة، ربما تبدد هذا الكوكب.... ربما تفجّر.... ربما دخل في الثقب الأسود ولا نزال نرى موقعه الذي كان فيه قبل 150 ألف عام.

أيها الإخوة إنها ليست بصارات وعرافات نقرأها من كتب سندريلا نحن هنا نقرأ ما انتهى إليه البحث العلمي في مرصد بانومار في أكبر مراصد الدنيا الذي يتحدث عن عجائب ما خلق الله. ليس هذا غاية النهاية بل إن الإنسان تمكن اليوم من التقاط أطياف قادمةٍ من كواكب تبعد عنا 13000 مليون سنة ولذلك فإن العلماء اليوم يقولون إن نصف قطر العالم أو الكون المقدر هو 13000 ألف مليون سنة، ليس ذلك إلا لأننا التقطنا أطيافاً من هذا البعد.

أيها الإخوة لا أريد أن أحول المنبر إلى درس في الفيزياء ولكنني أقف متأملاً أمام غرائب الكون وعجائب ما خلق الله { **قُلِ انظُرُواْ مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ** } [يونس: 101]، { **وَآيَةٌ لَّهُمْ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ # وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** } [يس: 37 – 38] الشمس يُقدر

نصف قطرها بحوالي 700 ألف كيلو متر وتُقدر كتلتها بحوالي ألفي مليون مليون مليون مليون طن ومتوسط كثافتها وحجمها يزيد مليون و300 ألف مرة عن حجم الأرض، كوكب الشمس لو وضعت فيه مليون كرة أرضية لبقي مكان لـ 300 ألف كرة أرضية أخرى.

{ **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا** } تقدر درجة حرارة لب الشمس بحوالي 15 مليون درجة وحرارة سطحها بحوالي ستة آلاف درجة وتصل درجة الحرارة في إكليل الشمس أي في اللهب الناشئ منها إلى مليوني درجة حرارة.

إن هذه الكرة القاسية التي خلقها الله عز وجل تتم دورتها حول مركز الشمس كل 24 يوماً ومتوسط دوران الشمس حول محورها يقدر بـ27 يوماً من أيامنا وتتجه الشمس بسرعة 20 كيلو متر في الثانية نحو مستقرٍ لها في نقطةٍ في كوكبة هرقل بالقرب من نجم النسر نسميها مستقر الشمس ستصل الشمس إليها إذا ما استمرت سرعتها الحالية بعد 250 مليون سنة { **وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ # وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّى عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ # لا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** } [يس: 38 - 40] تتحرك الشمس بسرعة 20 كيلو متر في الثانية الواحدة ومع ذلك فهي تحتاج إلى 250 مليون سنة حتى تصل إلى مستقرها الموعود، تتحرك الأرض بسرعة 107 آلاف كيلو متر في الساعة ومع ذلك نشرب كأس الشاي والقهوة من دون أن يرف منها شيء، تصور أنك تشرب الشاي على جناح طائرة تطير بسرعة 600 كيلو متر، ثم تصور أنك تشربها في طائرة تسير بسرعة 107 آلاف كيلو متر في الساعة الواحدة.

أيها الإخوة والأحبة عندما نقرأ هذه العجائب مما خلق الله في الكون ونستمع إلى قسم الله عز وجل { **فَلا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ # وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ** } لقد أصبحنا نعلم يا رب لقد احتجنا ألفاً وأربعمائة عام لنعلم كم هو عظيم أن تُقسم لنا بمواقع النجوم، وإن ما نراه اليوم هو مواقع النجوم التي كانت فيها حين أرسلت الأطياف.

إن من المدهش أن هذه الحقائق وضع علماء الإسلام أيديهم عليها قبل ألف عام اهتداءً بنور القرآن ولكن سقوطنا الحضاري أهدى هذه المعارف لغيرنا الذي تمكن أن يصنع منها طائرة وباخرة وتلفوناً وراديو وتلفزيون وستالايت ويخلق ما لا تعلمون { **إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً** } إنها هداية القرآن التي ألهمت الواعظ موعظته، وألهمت الطبيب طبه وألهمت الفيزيائي كيف يعيد قراءة شكل العالم ويقدم هذه الحقائق لخدمة الإنسان من جديد.

أيها الإخوة أرجو أن أكون قد قدمت ما هو مفيد وأنه ازداد إيماننا بربانية مصدر هذا القرآن العظيم { **وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ # لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** } [فصلت: 42] وأقول قولي وأستغفر الله.